ضرورة الولاية التكوينة لفكرة المهدوية من المنظار العرفاني والفلسفي والكلامي

فاطمه بيگم بال افكن (الكاتب المسؤول)

طالبة دكتوراه ، فرع علم الكلام ، جامعة امير المومنين(عليه السلام)، اهواز ، إيران

fatemehbalafkan37@gamil.come

الاستاذ المشرف أبو الفضل روحي

استاذ فرع علم الفلسفة التطبيقية ، جامعة شهيد بهشتي ، طهران ، إيران

الاستاذ المساعد ناصر سوداني

أستاذ فرع علم الكلام ، جامعة أميرالمومنين(عليه السلام)، أهواز، إيران

The necessity of establishing guardianship of the idea of Mahdism from the mystical, philosophical and theological perspective

Ph.D. student Fatemeh bigam bal afkan (Responsible author)

Amir Al-Momenin University , Shia Speech branch , Ahwaz , Iran

Dr. Abolfazl Rouhi

Supervising Professor Shahid Beheshti University , Comparative philosophy , Tehran , Iran

Dr. Nasser Sudani

Advisor Amir Al-Momenin University , Shia Speech branch , Ahwaz , Iran

الملخّص :

نظرا الي ان الامام هو في اعلي هرم الكون والوجود، وانه يتمتع باسمي درجات الكمال فان الامام افضل خلق الله في الكون مطلقا. والعرفاء والفلاسفة والمتكلمون يومنون باصل الامامة الذي يدرك اسرار الوجود والكون ولا يغيب عن نظره اي شي ء. وهذا المقال يسعي من خلال المنهج الوصفي التحليلي والاعتماد علي الادلة النقلية والعقلية ان يدرس نظرة العرفاء تجاه ضرورة الولاية التكوينية. وتشير النتائج الي ان الانسان الكامل كان ومازال موجودا في الكون في كل العصور. وان الله قد خلق كل شي من اجله كما ان استمرار الخلق جاء بسببه كما انه هو الذي ينقذ العالم في اخر الزمن وهو ما يتمثل في الامام القائم المهدي ع.

الكلمات المفتاحية: العرفان الاسلامي، الولاية التكوينية، المهدوية

Abstract:

Since the Imam is at the top of the pyramid of existence and is in the highest degree of perfection in terms of attributes, in every period this superior person is the Imam of that time and the mediator of grace between creation and truth.

Mystics, like philosophers and theologians, have realized the principle of guardianship, which is current in the fabric of the system of existence and no particle of it is outside the world, and have commented on the guardian in the present age. The present article entitled "Mystics and the necessity of the evolutionary guardianship of Mahdism" with a descriptive-analytical approach based on the narrative-revelatory method tries to examine the views of mystics on the necessity of evolutionary guardianship in Mahdism Current is to identify.

The results of research show that the perfect man is present as a comprehensive universe in all worlds and all ages. But God is the head of the series of all possible beings and it is according to him that existence has occurred and he is the provider of creation and its continuation and almost all Mystics have believed in the existence of a promised savior throughout the centuries, and among them the Shiites have comprehensively practiced Mahdism.

Key words : Islamic mysticism , mystics, formativ authority , Mahdism ..

المقدمة :

من ابرز معتقدات الكلام الاسلامي التي اجمع عليها السنة والشيعة فكرة المهدوية. فالمهدوية هي تتمة فكرة النبوة وان انكارها يؤدي الي انكار الرسالة. وان رسالة الاسلام ومصيره تتحقق من خلال المهدوية. وان هناك عرفاء كثيرين سعوا الي دراسة هذا الاصل من ختلف المحاور. فالعرفاء يومنون ان هذا فكرة المهدوية تمثل فيضا ربانيا ورحمة سماوية ينعم بها الله علي خلقه.

روية العرفاء للولاية التكوينية:

يري العرفان الاسلامي ان موضوع المهدوية يتعلق بقضايا الولاية والكمال حتي ان المهدوية احد ابرز مباحث العرفان الاسلامي. الا ان هناك اختلاف بسيط بين العرفاء السنة والشيعة وان اجمعوا علي فكرة المهدوية كما ان سائر المذاهب والاديان تومن بفكرة المنقذ الذي ينجي العالم في اخر الزمن.

يري العرفاء السنة والشيعة ان الولاية هي الاساس الذي يحفظ العالم. ان الولاية في النصوص العرفانية تعني اقبال العبد الي الله تعالي بعد ان يتخلص من رغبات نفسه وهي نوعان ولاية عامة توجد لدي كل المومنين وولاية خاصة انفرد بها سالكي الطريق العرفاني الذي فنوا في الحق. (سجادي، فرهنگ معارف اسلامي، ج ٣، ص ٦٢). لذا فان الولاية ومراتبها تحقق اعلي مستويات الكمال الانساني واما ان مصطلح (الولي) هو اعلي مدارج العرفاء وهو من اسماء الله تعالي كما ان هذه الدرجة تجمع بين النبوة والامامة وان الولي يظهر بهيئة الرسول مرة وبهيئة الامام مرة اخري.

ان الولاية التكوينية من الامور الباطنية والقدرات النفسية التي يمتلكها الانسان الصالح وهو يسيطر بها علي بعض العالم من خلالها. وان هذه الولاية ذات مراتب متعددة وهي نابعة من قدرة الله وارادته وهي تسير بالانسان من مرحلة العبودية الي مرحلة الربوبية حتي يتمكن الانسان من خلال عبادة الله ان يسيطر علي بعض العالم. (همتي،ولايت تكويني، ص ٨٤) وان الولاية التكوينية انما هي الولاية الباطنية نفسها.

ان اول من استخدم مصطلح الولاية التكوينية هو الحكيم الترمذي في القرن الثالث فقد كان من اوائل العارفين كما نري ذلك في كتاب (ختم الاويلاء) ومن ثم شاع هذا المصطلح من بعده. كما ان عرفاء اهل السنة يرون ان الولاية

التكيوية هي التصرف التكويني لاولياء الله في ارضه وذلك يتم بارادته الله تعالي وهدايته. (ترمذي، ختم الاولياء، ٤٥٧)

يلاحظ ان الترمذي لم يقدم تعريفا واضحا عن الولاية الا انه يستنتج من كلامه ان الولاية اكتسابية وهي ذات درجات يجتازها الولي للوصول الي ربّه حسب معتقده ان العارف يسير في طريق معرفة اسماء الله تعالي وبعد اتمامها ينتهي العارف الي الباطن وتنتهي بذلك الاسماء والصفات وهذه العملية تتم ضمن عشرة درجات وبعد اتمامها يوحي الله الي قلبه ما يشاء بصورة مباشرة. (ترمذي، ختم الاولياء،٦٥٣).

كما يشير الترمذي الي ان العارف يصل في مسيرته الي مقال (كن) بعد ان يرقي في سلّم الايمان العرفاني وبذلك يكتسب بعض الصفات اللهية بعد ان تفني ارادته في ارادة الله تعالي وبذلك تتحد الاراداتان اللهية والعرفانية. (ترمذي، ختم الاولياء،١١٣).

سار العرفاء علي نهج وعقيدة الترمذي الا ان ابن العربي قد فسّر الولاية التكوينية بصورة مختلفة فهو يري ان الحقيقة المحمدية ذات ولاية تامة لكلّ ما عدا الله تعاليوان كل وجود ما عدا الله يصدر من الرسول ص. وهكذا فان ابن العربي تجاوز اراء الترمذي في الولاية التكوينية وطرح نظرية عرفانية خاصة به. فابن العربي يري ان الانسان تجلي الله تعالي وان محمد هو اول مخلوق الهي وان الشرائع جميعها منذ البداية حتي النهاية هي الشرعية الاسلامية المحمدية. (ابن العربي، الفتوحات المكيه، ص ٨٥).

فابن العربي يري ان بامكان الانسان ان يسير نحو الكمال وبذلك يرتقي في سلم العرفان ويتفوق علي من سواه. ويري ابن العربي ان خلق الانسان جاء علي نمط الله تعالي وبذلك فان الانسان كما هو مخلوق فانه يتميز بسمات الحق. كما ان الانسان باعتبار اتصافه بصفات الله فانه الحق وكذلك باعتبار عبودتيه فانه المخلوق. وان كل الكائنات هي مسخرة له وان كمال الانسان يتحقق من خلال تحلّيه بصفات الله تعالي. (ابن العربي، الفتوحات المكية، ٢١٦).

لذا فان ابن العربي يري صاحب الولاية التكوينية مظهر الاسماء الالهية كما ان صاحب الولاية التكوينية بالكون يمكنه ان يتصرف وفق اراداته. وقد كان الرسول(ﷺ)احد. اولياء الله تعالي واصحاب الولاية التكوينيةويلاحظ ان

الاولياء يصعدوت في مراتب الكمال العرفاني من خلال السير في مسير الصفات الالهية (رحيمي، بررسي تصور تاريخي ولايت تكويني ، ٧١)

الا ان العارف عزيزالدين النسفي في القرن السابع الهجري قد صنع تحورا كبيرا في علم العرفان. وقد كانت الولاية التكوينية محور عرفانه وقد اكد علي الولاية هي باطن النبوة وهي فضل الهي لمخلوقاته. (نسفي،منازل السائرين،ص٣١٧)

كما ان السيد حيدر الاملي العارف الشهير في القرن الثامن يري النبوة انما هي تصرف في الشوون الظاهرية للخلق والتحكم في الشرائع اما الولي فله تصرف في باطن الكائنات لذا فان الولاية اهم من النبوة واسمي منها.(آملي، مقدمات من كتاب نص النصوص، ١٦٨)

وهكذ فان الولاية لدي بعض علماء اهل السنة اسمي من النبوة وهم يرون الولي صاحب الاسرار الخفية وان الارض لا تخلي من وجود الاولياء اذ ان خلوها سيودي الي انهيار العالم .

اما علماء الشيعة فقد وضحوا الولاية التكوينية من خلال علوم العرفان والفلسفة والحديث وهم يرون ان هناك صلة وثيقة بين الولاية وقوله تعالي: هوالولي الحميد.

فالولي من منظار العرفان الشيعي مظهر الاسماء اللهية. والامام هو مصداق الولاية التكوينية الذي يتصرف في الكون وفق مشيئته. فهو واسطة بين الله ومخلوقاته ينظم شوون العالم باذن الله ومشيئته.

يقول السيد شاه ابادي حول الولاية التكوينية : ان الولاية التكوينية علي نوعين احدهما اضطراري والثاني اختياري. اما الولاية الاضطرارية فهي في القوس النزولي والولاية الاختيارية في القوس الصعودي.

كما ان آية الله الميلاني يقول في الولاية التكوينية: ان هذه الولاية لها جانبان احدهما فيض رباني نحو الكائنات ويمتكلها كل الاوصياء والانبياء اما النوع الثاني من الولاية التكوينية فيض رباني خاصّ بالرسول(ﷺ)والائمة الاطهار. (سيد محمدهادي ميلاني، پرسش، ١٦١)

كما يري الامام الخميني ان الولاية التكوينية مقام معنوي وهو خلافة الله في ارضه تشمل بعطفها كل ذرات الكون وهي اسمي مراتب الولاية علي الاطلاق. (روح الله خميني، ولايت فقيه، ص ٤٥)

فالامـام الخمـيني يـري ان الولايـة هـي شـعبة مـن شـعب التوحيـد وان ابـرز مصـاديقها هـو الولايـة العلويـة والمحمديـة. كمـا يـري الامـام الخمـيني ان كـل انسـان بنـاءا علـي طاقتـه وامكانياتـه يتقبّـل الولايـة الباطنيـة الـتي تنفـذ في مختلـف ارجـاء العالم (امام خميني، مصباح الهداية الي الخلافة والولايه، ١١٩)

يـري الامـام الخمـيني ان الولايـة هـي وسـاطة بـين الله تعـالي وخلقـه يفـيض الله من خلالها علي مخلوقاته. (امام خميني، مصباح الهدايه الي الخلافةو الولايه، ١٨٠)

كمـا ان العلامـة حسـن زاده املـي يفسـر الولايـة التكوينيـة بتعريـف فلسـفي في كتابـه (الولايـة التكوينيـة) وفـق اراء ونظرايـات العلامـة مـلا صـدرا. فهـويري ان الـولي هـو الانسـان الكامـل الـذي تجـرد مـن كـل علائقـه وارتقـي الـي اعلـي مراتـب الكمال واتحدت ارادته بالارادة الربانية.

وهـو يوكـد علـي ان الـولي مـن اسمـاء الله تعـالي كمـا في قولـه : وينشـررحمته وهـو الـولي الحميد(شـوري/ آيه٢٩)لـذا فـان الانسـان الكامـل هـو صـاحب الولاية المطلقـة الـذي يتصـرف في شـوون الكـون اجمـع بـاذن الله تعـالي ويـتحكم بـامور الارض والسماوات.

فحكـم الـولي نافـذ في الطبيعـة والكـون وان الامـور والاشـياء تتبـدل وفـق مشـيئته كمـا تبـدلت عصـي موسـي(عليه السلام)الـي حيـة تسـعي كمـا في قولـه تعـالي "فـالقي عصـاه فـاذاهي ثعبـان مـبين(اعـراف/١٠٨) اذن فالولايـة هـي تصـرف في شـوون الكـون يقـوم بـه الـولي بـارادة الهية(آيـه الله حسـن زاده آملي،ولايـت تكـويني، ص ٦٤- ٦٦) كمـا يشـير العلامـة ان الرسـل والانبيـاء ليسـوا مـن اسمـاء الله خلافـا للـولي الـذي هـو اسـم مـن اسمـاء الله، وان النبـوة مرحلـة زمنيـة تنقطـع بمـوت الانبيـاء امـا الولايـة فهـي مسـتمرة لانهـا مـن صـفات الله تعـالي. "هـو الـولي الحميد(شورا/آيه ٢٩)

امـا العلامـة جـوادي املـي فـيري الولايـة التكوينيـة مـن خـلال الايـات القرانيـة والادلـة الفلسـفية ويوكـد علـي ان الولايـة التكوينيـة هـي تصـرف في شـوون العـالم وهـي في ذات الله ولاية حقيقـة كمـا اكـد ذلـك يوسـف(عليه السلام)في قولـه "انـه وليـي في الدنياوالاخره".(يوسف /آيه ١٠١). (جوادي آملي، ولايت در قرآن،٣٨)

اكمـا ان العلامـة يقسـم الولايـة التكوينيـة الـي نـوعين العامـة والخاصـة ؛ امـام الاولـي فهـي مشـتركة لـدي كـل المـومنين المخلصـين امـا الثانيـة فهـي مـن مختصـات الاولياء الذين فنوا في ذات الله تعالي. (المصدر نفسه)

كما ان الولاية التكوينية لدي جوادي املي هي خلافة الله تعالي وهو ما نراه لدي انبياء الله واوليائه "انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوايقيمون الصلاه ويوتون الزكاه وهم راكعون "(مائده /٥٥) وهذه الخلافة علي نوعين تكوينية وتشريعية. وان ولاية الانبياء والاولياء بالنسبة للكون ولاية مطلقة باذن الله تعالي اما بالنسبة لله نفسه فهي محدودة فهولاء الولاة وان كان بامكانهم ان يحكموا العالم ويبلغوا رسالة الله فانه ليس بامكانهم ان يسنّوا الشرائع وهم بذلك انما يتبعون الله تعالي وولايتهم بجانب ولايته محدودة وخاضعة لولايته.(جوادي آملي، ولايت در قرآن، ص٤٠).

كما ان اية الله صافي في كتابه الولاية التكوينية والتشريعية يعلن تاييده لفكرة الولاية التكوينية الا انه يري تلك الولاية جزئية وبإذن الله تعالي ومختصة بالانبياء والائمة اما الولاية المطلقة المستقلة فيرفضها ويراها من صفات الله تعالي وحده فهو الوحيد الذي يتحكم بشؤون الرزق والحفظ والتقدير. ..ويري ان الايمان بالولاية المطلقة لما عدا الله تعالي شرك وكفر ويوكد علي ان النظريات العرفانية من مثل تجلي الله في خلقه وحلوله شرك وبدعة.

كما ان السيد مطهري يقول في هذا الصدد: ان المقصود بالولاية التكوينية هي اجتياز طريق العبودية للتقرب الي الله تعالي والحصول علي مكانة سامية لديه وبذلك يمنّ الله عليه بفضله فيمنحه بعض الكرامات والسلطة في الكون. كما يوكد علي الارض لا تخلو من اولياء الله تعالي (مطهري،ولاءهاو ولايت ها،ص ٦٠) وهكذا فالعلماء الشيعة يعتقدون بضرورة وجود الانسان الكامل الذي يمتلك السلطة الغيبية ويتحكم ببعض الشوون الكونية بارادة الله تعالي. (المصدر نفسه، ٦٢).

دور الولاية التكوينية من منظار العرفاء:

فكرة التجلي:

يري العرفاء ان الولاية التكوينية جارية في كل اجزاء الكون وانه لا تخلو منها اي ذرة من ذراته وانهالكون اجمع انما هو تجلي الذات الربانية وان ما عداه ليس سوي تجلي ذات الله تعالي.

فالعرفاء يرون ان هناك وجود حقيقي وحد وان ما عداه انما هم انعكاس لتلك الذات الحقيقة. فالله تعالي هو الوجود الحقيقي بصفاته وسماته وقد خلق عالم الاعيان ومن بعدهم عالم المثال ومن عبده عالم المادة. والولي موجود في كل عمليات الخلق هذه. فاول الاولياء هو الفيض الاقدس الذي هو

واسطة بين الله تعال يوعالم الاعيان كما ان الرسول محمد(ﷺ)هو الفيض المقدس في عالم المثال.

فالانسان الكامل موجود في كل ارجاء الاكوان. وكذلك نري الولي موجود في عالم المادة. فالانسان الكامل هو راس الكائنات ممكنة الوجود وان الخلقة تاتي بفضل وجوده. في واقع الامر فانه باعث الخلق وسبب استمراره در واقع او تامين كننده خلقت و استمرار دهنده آن است. اذن فالوجود انما هو وجود الله تعالي وان ما عداه انعكاس لنوره المبارك كما ان العالم جميعه جاء بفيض كرمه ومنّه. فالعرفاء يوكدون ان الوجود يقتصر علي الله وحده وان كل ما عداه حتي الوسائط انما هي تجلي ذاته تعالي.

.بناءا علي فكرة العرفان فان الوجود ليس له سوي مظهر حقيق واحد وان تعددت مظاهر الخلق فهي صادرة منه وانعكاس لحقيقته. كما ان نظام الخلق لدي العرفاء نظام متسلسل ذو درجات وان العوالم تنقسم لديهم كالتالي: العالم الاول هو عالم الفيض المقدس، والعالم الثاني عالم الارواح، والعالم الثالث عالم الملائكة والعالم الرابع عالم الانسان الكامل ا والناسوت والعالم الخامس العالم الجامع الذي يتضمن كل الكائنات. فالانسان الكامل هو اول واسطة بين الله تعالي ومخلوقاته.

ويري العرفاء ان الفيض الاقدس واسطة بين الله وصفاته. وان اول اسماء الحق هو الله وهو اول ظهور للخالق في عالم الاعيان هذا في حال ان عالم الكون لم يخلق بعد وان الخالق قد افاض علي كل خلقواته من خلال هذ الاسم. واما ما نري من المخلوقات فانها وجدت في العالم الرابع بعد ان خرج الله من عالم الغيب الي عالم الخارجي. والفيض المقدس هو واسطة بين عالم الاعيان وعالم الخارج وهو سبب وجودها ودق اشتهر باسم الوجود المنبسط. واما المقام الخامس فهوعالم المثال وهو برزخ بين عالم العقول وعالم المادة ويعرف ايضا باسم عالم الملكوت.واما العالم السادس فهو عالم المادة وهو يقابل عالم الغيب وان الانسان الكامل يتراوح ما بني العالم الرابع الي السادس وهو خليفة الله في المقام الثالث (رحيم لطيفي،امامت و فلسفه خلقت،٢٩١)

تعيين مصاديق الولاية الانسانية من منظار العرفاء

ان نظرة العارفين تدورحول فكرة الانسان الكامل الذي هو خليفة الله. فالانسان الكامل هو غاية الخلق وهدفها ومظهر جامع لكل الصفات الهية وواسطة بين الله وخلقه وخليفته الوحيد علي الارض.

فالانسان الكامل هو اصل الشرائع والاديان وراس سلسلة كل المخلوقات وانها استمدت وجودها منه وهو الذي يمنحها الوجود وهو قائد الانبياء والرسل. وهكذا فان الانسان الكامل هو حجة الله في الكون وهذه الانسان الكامل هو الله تعالي. وهذه القضية احد ابرز المعتقدات الهامة التي يتم طرحها بين العرفاء الاسلاميين.

يري ابن العربي ان الرسول هو مصداق الانسان الكامل الذي لا يفضله اي شخص لذا يقول في هذا الصدد: ان مكانة الانسان الكامل في العالم مثل مرتبة النفس الناطقة في الانسان وان الانسان الكامل هو افضل خلق الله علي الاطلاق ولا يفضله اي شخص وهو الرسول محمد ص. فقد خلقت الاكوان من اجله وان مكانته بين الرسل اعلاهم وبمثابة العقل في الانسان اي انه اكرم الخلق واسماهم.

لذا فان المصداق الحقيقي للانسان الكامل هو الله تعالي (ابن عربي،فتوحات مكيه، ج ٣، ١٨٦) كما يقول في موضع اخر: ان الانسان الكامل هو الرسول(ﷺ)والانبياء ":(عليهم السلام)(المصدر السابق،، ج١٣، ص ٢٨٣)

كما ان عين القضات ايضا يري رسول الاسلام نموذجا للحقّ ومظهره اذ يقول : من بين كل الكائنات نري الرسول(ﷺ)افضل من كل ما عداه في الكون جميعا.(عين القضات، ١/١٣٨٩:٣٠). وهكذا فهذا العارف يري الرسول مثالا للانسان الكامل ويطلق عليه اسماء حاشر، داعي، رسول الله، سراج منير، سيد، شاهد، صاحب شريعت، عاقب، ماحي، بشير، نذير و.....ويصفه بقوله ان الله له اسمان الاول الرحيم والرحمان والثاني الجبار المتكبر وقد خلق الشيطان من صفة جبره واتي محمد من صفة رحمته (عين القضات، تمهيدات، ١/ ٢٢٧).

كما يقول النسفي في هذا الصدد: ان حالة الانسان الكامل في الكون كما هو حال القلب في البدن فكلاهما واحد لا ثاني لهما. فالانسان الكامل هو

خلاصة الكون وثمرته ويتصرف فيه كيف يشاء. (النسفي،الانسان الكامل، ص ٧٥)

دراسة ادلة وشواهد العرفاء علي ضرورة الولاية التكوينية

هناك سوال يطرح في العرفان يتمثل : ما هي دلائل وشواهد العرفاء علي ضرورة الولاية التكوينية ؟نري في العرفان انالعرفاء يتحدثون عن الولي وخاتم الولاة بدل الحديث عن الامام القائم(عليه السلام)والمنج. كما يلاحظ ان العرفاء الشيعة يمزجون بين خاتم الولاة والمهدي الموعود الا ان العرفاء السنة لا يرون ذلك ويفسرون المهدي والمنقذ باشخاص آخر غير الامام الثاني عشر.

ويلاحظ ان موضوع المهدوية يتم طرحه لدي العرفاء علي ثلاثة مستويات هي الولاية التكوينية والانسان الكامل والمهدي.

آ - الولاية التكوينية

من ابرز المجالات التي يتم طرحها حول المهدي قضية الولاية التكوينية وقد سعي مختلف المفكرون بدراستها.

فهم يرون ان الوصول الي الله يتم من خلال اصحاب الولاية وان الولاية هي نقطة الثقل التي تحفظ توازن العالم وان خلو الارض سيودي الي انهيارها بسبب ذلك فان قضية العرفاء يسعون لاثبات الولاية. بناءا علي ذلك فان تداوم الفيض الرباني مرهون بوجود الولي وان بداية العالم ونشأة الخلق جاءت من خلاله الولي.

يري القيصري ان الذي الولي هو الذي يفوق الخلق في جميع الكمالات الوجودية وه اقرب الي الله تعالي. لذا فان الولاية التكوينية من الامور الباطنية والقدرات النفسية الذي بامكان الانسان الكامل ولو نسبيا ان يمتلكها و يحكم بعض العالم. وهذه الارادة ذات درجات متعددة متسلسة يرتقي فيها العارف الولي من خلال التهذيب والعبادة (همتي،ولايت تكويني، ص٨٤)

بناءا علي ذلك فاذا كان العرفاء الشيعة يومنون بولاية المهدي فانه يصفونه بكل ما مر فانه يتمضن كل الخصال السابقة. ويلاحظ ان العرفاء كانوا يستخدمون لقب الولي للرسول(صلى الله عليه وآله)ويلقبونه بالقطب الاول والاخير والظاهر والباطن والازلي والابدي ولوكان الرسول(صلى الله عليه وآله)جاءا متاخرا عن الانبياء الاخرين.

ب- الانسان الكامل

تبدا قضية الولاية التكوينية من مبحث الانسان الكامل. لذا فان الحديث عن الانسان الكامل من ابرز القضايا العرفانية. يري العرفاء العديد من السمات للانسان الكامل ابرزها الوساطة بين الله تعالي وخلقه والفيض الوجودي. فالانسان الكامل هو الوحيد الذي بامكانه ان يتضمن الصفات الهية ويصبح مراة تعكس الاسماء الحسني.

فقد كان ابن العربي اول من استخدم عبارة الانسان الكامل وكان يري ان الله بامكانه ان يظهر في صور متعددة. وان كل الانبيائ هم نموذج الانسان الكامل ومظهر من تجليات محمد ص. وهو يري ان الانسان الكامل اساس العالم.

فالانسان بفعل قابلية انعكاس الاسماء والصفات اللهية في نفسه يكتسب مكانته سامية. يري عبد الكريم الجيلاني مثل ابن العربي ان الانسان الكامل هو مظهر الله تعالي ويوكد ان الانسان الكامل هو نسخة من الله. (بديعي، حضرت مهدي از ديدگاه ابن عربي،٤٥)

كما ان الامام الخميني يقول ايضا ان الانسان هو خليفة الله تعالي وانه خلقه علي هيئته ويتصرف بالامور كما يشاء بعد ان استمدّ روح الله في خلقته وبذلك اصبح هيئة منه وخليفته. (امام خميني، شرح دعاي سحر، ٣٥)

ج-المهدوية

ان فكرة المهدوية في العرفان الاسلامية بدأت في عهد الرسول(ﷺ)اذ ان حياة الرسول كان تمثل الانسان الكامل بكل سماته. وقد حمل الائمة الكرام من عبده الرسول(ﷺ)ملامح الانسان الكامل ؛ كما قد اكد جميعهم علي ان المهدوية هي خاتمة الولاية. وفي القرن الثالث الهجري اهتم العرفاء بقضية المهدوية وكان الترمذي هو اول العرفاء الذين تناولوا هذه القضية في كتابه (ختم الولاية).

فقد كان يري ان الولاية لا تختصّ بزمن محدد وان ولي الله حجة علي الخلق وعون الناس لذا فان حجيته وحاجة الناس اليه تتطلب ان يكون متوفرا في كل عصر. فهو يري كذلك ان سلسة النبوة انتهت بخاتم الرسل فكذلك الحال لابد للولاية ان تنتهي بخاتم الولاية. والمقصود بخاتم الاولياء هو شخص جامع لصفات الكمال. يوكد الترمذي في كتاب ختم الاولياء انه المهدي هو خاتم الاولياء الا انه يشير الي اوصافه دون اسمه ويكتفي بحديث الامام

علـي(عليه السلام)ان الارض لا تخلـو مـن حجـة الله تعـالي وبـذلك يسـتنتج ان خـاتم الاولياء موجود في اخر الزمن (ترمذي، ختم الولاية، ٤٢٦)

في القـرن الخـامس بعـد ان ازدهـر العرفـان طـرح العرفـاء العديـد مـن المفـاهيم العرفانيـة ووضـعوا اسـس العرفـان وانعكـس العرفـان في الشـعر وبـذلك انعكسـت المهدويـة في الاشـعار العرفانيـة.ففي هـذا القـرن ظهـر لـدي اهـل السـنة بعـض العرفـاء الـذين تقبلـوا بعـض مفـاهيم العرفـان الشـيعي بعـد تغـيير قليـل واصبحوا عرفـاء سـنة يومنون بفكرة اثني عشرية الائمةع.

ففـي هـذه الفـترة اشـتد انعكـاس العرفـان الشـيعي بـين الاوسـاط السـنية وبـات بعض العرفاء السنة يومنون ختي بمهدوية الامام الثاني عشر.

ونـري في القـرن السـادس عرفـاء مـن مثـل السـهرودي والسـنائي والجـامي الـذين طرحـوا فكـرة المهدويـة وانعكسـت في ارائهـم الاعتقـاد الشـيعي. يلاحـظ ان الجـامي يوكـد علـي المنقـذ في اخـر الـزمن هـو المهـدي(عليه السلام)كمـا ان السـهروردي في كتابـه (حكـة الاشـراق) يـنصّ علـي ان الارض لا يمكـن ان تخلـو مـن خليفـة الله تعـالي وذلـك يـوحي بـان الله تعـالي ارسـل مـن بعـد الرسـل الائمـة الكـرام(عليه السلام)وهـم اوليـاء الله في الارض وهكـذا نتسـتبط ان السـهروردي كـان قريبـا مـن الفكـر الشـيعي ولـولم يـذكر اسـم الامـام(عليه السلام)الا ان صـفاته وخصـاله توحي بشخصية الامام القائمع.

يلاحـظ انـه بعـد القـرن السـادس الهجـري اخـذ اسـم المهـدي يظهـر بوضـوح في الكتـب العرفانيـة وشـرع العرفـاء يصـرحون باسـم المهـدي ويـذكرون عبـارة المنتظـر في نصوصهم دون ان يتفقوا مع الشيعة في شخص الامام الثني عشر تحديدا.

وازداد التقـارب العرفـاني بـين المـذهبين في القـرن السـابع وانتشـرت فكـرة المهدويـة بـين اوسـاط العرفـاء مـن مثـل مولـوي وابـن العربـي، وصـدر الـدين قونـوي وعزيـز الـدين النسـفي وعطـار النيشـابوري. وقـد ذكـر كـل هـولاء عبـارات (المهدويـة و خاتم الاولياء) الا انهم لم يحددوا شخصا معينا كما هو الحال لدي الشيعة.

ويقـول ابـن العربـي في هـذا الصـدد: ان لله خليفـة سـيظهر اخـر الـزمن بعـد ان تمـلا الارض بـالجور وسـيقوم يملاهـا قسـاط وعـدلا وان الارض لـو لم يبـق منهـا الا يـوم واحـد لطـال ذلـك اليـوم حـتي يظهـر ذلـك الـولي مـن مـن نسـل فاطمـة وعلـي عليهمـا السـلام ولـه لقـب جدرسـول الله(ابـنعربـي، فصـوص الحكـم، ج٣، ص ٣٢٧) كما انشد شعرا فيه:

الا انّ ختم الاولياء شهيد و عين امام العالمين فقيد
هوالسيدالمهدي من آل احمدهو الصارم الهندي حين يبيد
هو الشمس يجلو كل غم و ظلمت هوالوابل الوسمي حين يجود

(المصدر السابق، ٣٢٨)

يستنتج من ذلك ان فكرة المهدوية شاعت وانتشرت لدي العرفاء وان العرفاء في القرون الاولي كانوا يومنون بفكرة المنقذ والمهدي دون ان يحددوا شخصه فهم يومنون بان الارض لا تخلو من الولي صاحب الكمال وقد اكد عرفاء الشيعة علي انه المهدي هو الامام الثاني عشر من احفاد علي ع.

نتيجة البحث:

خلص البحث الي ان الامام بما انه هرم الكون والوجود، وانه يتمتع باسمي درجات الكمال فانه افضل خلق الله في الكون مطلقا. والعرفاء والفلاسفة والمتكلمون يومنون باصل الامامة الذي لا يدرك اسرار الوجود والكون ولا يغيب عن نظره اي شي ء.

وتشير النتائج ايضا الي ان الانسان الكامل كان ومازال موجودا في الكون في كل العصور. وان الله قد خلق كل شي من اجله كما ان استمرار الخلق جاء بسببه كما انه هو الذي ينقذ العالم في اخر الزمن وهو ما يتمثل في الامام القائم (عليه السلام).

قائمة المصادروالمراجع

١. ولايت تكويني، همايون همتي، اميركبير، تهران، ١٣٦٣.
٢. ترمذي، محمد بن علي حكيم، ختم الاولياء، بيروت، دار الكتاب.
٣. رحيمي، جعفر، بررسي تصور تاريخي ولايت تكويني از حكيم ترمذي تا ابن عربي در متون منثور عرفاني، مطالعات عرفاني، ١٣٩٣.
٤. ابن عربي، محي الدين محمد، الفتوحات المكيه، قاهره: طبع بولاق،(بي تا)
٥. منازل السائرين، عزيزالدين بن محمد نسفي، نشر آرايان، ١٣٩٧.
٦. آملي، سيد حيدر، مقدمات من كتاب نص النصوص، چاپ دوم، تهران، توس، ١٣٦٧.
٧. كربن، هانري، انسان نوراني در تصوف ايراني، ترجمه فرامرزجواهري نيا،نشر آموزگار خرد، ١٣٨٨.

٨. ميلاني، محمدهادي، صدوده پرسش از فقيه اهل بيت سيد، مشهد، دار التلبيغ، ١٤٠١ ق.
٩. ولايت فقيه،امام خميني، موسسه تنظيم و نشر آثار امام خميني، تهران، ١٣٩٠.
١٠. شرح چهل حديث،امام خميني موسسه تنظيم و نشر آثار امام خميني، تهران، ١٣٨٢.
١١. امام خميني، مصباح الهداية الي الخلافة و الولايه، موسسه تنظيم و نشر آثار امام خميني، تهران، ١٣٨٦.
١٢. يزدان پناه، شهلا، ولايت تكويني از ديدگاه امام خميني و قاضي سعيد قمي، دانشگاه قم، ١٣٨١.
١٣. جوادي آملي، عبدالله، ولايت در قرآن، مركز نشر فرهنگي رجاء، چاپ سوم، ١٣٦٩.
١٤. ولاءهاو ولايتها، آيت الله مطهري، انتشارات صدرا، ١٣٩٠.
١٥. لطيفي، رحيم، امامت و فلسفه خلقت، انتشارات مسجد مقدس جمكران، چاپ اول، ١٣٨٧.
١٦. نسفي، عزيزالدين، الانسان الكامل، انتشارات طهوري، تهران، ١٣٧٧.
١٧. قيصري رومي، محمد داوود، شرح فصوص الحكم، انتشارات علمي و فرهنگي، تهران، ١٣٧٥.
١٨. جيلي، عبدالكريم، الانسان الكامل، ايران، ١٣٦٢.
١٩. الاصول الكافي، محمد بن يعقوب كليني، بيروت، دارالكتب الاسلاميه،١٣٦٥.
٢٠. يثربي، يحيي، فلسفه امامت، قم، انتشارات وثوق، چاپ اول، ١٣٧٨.
٢١. بحارالانوار، محمد باقر مجلسي، تهران، دارالكتب الاسلاميه، چاپ چهارم، ١٣٦٢.
٢٢. ولايت كليه، ميرجهاني طباطبايي، الهادي، ١٣٨٢.
٢٣. صحيفه امام، موسسه تنظيم و نشر امام خميني، تهران،١٣٨٥.